بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الكلام كلامُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار. **أمَّا بعد:**

فيا أيُّها المسلمون!

ما هي إلَّا أيَّامٌ قلائل حتَّى نستقبل شهرًا كريمًا، هو أكرم الشُّهور على الله ـ تبارك وتعالى ـ وأعظمُها عنده؛ شهرٌ كان إدراكُه أمنيةً عند سلف هذه الأمَّة الكرام، يتمنَّى أحدهم أن يدركه لينال من فضله، ومن عظيم بركاته، كانت أمنيتهم ودعاؤهم أن يبلِّغهم اللهُ ﷻ هذا الشَّهر الكريم، لِما علموا من عِظَم البركات، وعِظَم الأجر الَّذي أودعه الله ﷻ في أيَّامه ولياليه.

هو شهرٌ اختصَّه اللهُ ﷻ بعبادة الصِّيام وإنزال القرآن، بل هو شهر القرآن، وقد قرن بينهما النَّبيُّ ﷺ في قوله: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ! مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**» [أحمد (٦٦٢٦)، وحسنه الألباني في «تمام المنة» (ص ٣٩٤)].

هذا الشَّهر المبارك الَّذي كان النَّبيُّ ﷺ يبشِّر به أصحابَه الكرام؛ فيقول: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ؛ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ ﷻ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**» [أحمد (٨٩٩١)، والنسائي (٢١٠٦)، وحسنه الألباني في «تمام المنة» (ص ٣٩٥)].

وقال الله ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى

لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤].

هذا الشَّهر المبارك، ينبغي لنا أن نتهيَّأ له كما يليق بعظمته وفضله، كما أنَّ غيرَنا من أهل الدُّنيا ـ من أهل المعاصي فيها أو من أهل الجشع فيها؛ أهلِ الفنِّ أو غيرِهم ـ يهيِّئون أنفسهم، ويُعِدُّون عُدَّتهم له، بما يهيِّئونه ممَّا يصدُّون به عن سبيل الله ـ تبارك وتعالى ـ من أنواع الغناء الفاحش، أو الأفلام الفظيعة الخليعة، أو غير ذلك من المنكرات الَّتي هي من أعظم أسباب نقم الله ﷻ على العباد.

وكان الواجب على هؤلاء إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وإن كانوا يعرفون لشعائر الله ـ تبارك وتعالى ـ قدرها ومنزلتها، وإن كانوا يعظِّمون هذه الشعائر حقَّ تعظيمها، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [سُورَةُ الحَجِّ]، كان الواجب عليهم أن يقلعوا عن هذه المنكرات بمناسبة هذا الشَّهر الكريم، فيكون شهر رمضان سببًا لتوبتهم وإنابتهم ورجوعهم عن هذه الذُّنوب والأوزار؛ إذ من فضائل هذا الشَّهر الكريم أنَّه شهرُ توبةٍ وإنابةٍ، وأنَّه شهر رجوعٍ إلى الله ﷻ؛ لأنَّها فرصةٌ قد لا تعود، ولأنَّها مناسبةٌ قد لا تتكرَّر على الكثير منَّا؛ فكم هم أولئك الَّذين تمنَّوا أن يشهدوا معنا هذا الشَّهر، فوافتهم المنيَّة فهم الآن تحت أطباق الثَّرى، وقد دِدنا لو أنَّهم صاموا معنا، وقاموا معنا، وعايشناهم وعايشونا هذه الأيَّامَ المباركات، ولكن شاء الملك القدير ﷻ أن يرحلوا من هذه الدُّنيا، وأن يتركوا أهلها، فهنيئًا لنا إدراكُه إن نحن أدركناه، وهنيئًا لمن رحل قبل ذلك على الإيمان وتقوى ربِّه المنَّان، أمَّا من مات على خلاف ذلك فنسأل الله ﷻ أن يغفر له ويتجاوز عنه.

نعود لأنفسنا، وبأيِّ شيءٍ نتهيَّؤ لهذا الشَّهر المبارك؟! أنجعل من أهل المُجون والفسوق والمعاصي قدوةً لنا؟ أم أنَّنا نقتدي بأسلافنا الَّذين كان لهم مع أيَّام هذا الشَّهر شأنٌ عظيمٌ، بل كان لهم مع الأيَّام الَّتي هي مقدِّمة بين يدي رمضان رجب و شعبان شأنٌ عظيمٌ.

كان شأنهم أوَّلًا في مثل هذه المقامات:

١ـ شكرُ الله ﷻ على نعمه؛ لأنَّ إدراك هذا الشَّهر المبارك نعمةٌ من نعم الله ﷻ على أهل التَّقوى والإيمان، فهم يقابلون نعم الله ﷻ كلَّها بشكره ـ تبارك وتعالى ـ، ورحم الله سلفَ هذه الأمَّة حيث كانوا يقولون: «قيِّدوا نِعَمَ الله بشُكر الله»، أي: حافظوا على هذه النِّعم بشكره ﷻ عليها.

فكيف تشكر ربَّك يا عبد الله؟! يا من أكرمك الله بإدراك هذا الشَّهر الكريم المبارك! بم تشكر ربَّك؟ بالسَّهر في الحفلات؟ أو وراء الشَّاشات؟ أو بقضاء السَّاعات الطِّوال في القيل والقال، واللَّعب والقمار، وإضاعة

الأوقات، وإهدار الأعمار؟ أم أنَّك تشكره ـ جلَّ جلاله ـ على طريقة نبيِّك ﷺ، ومن كان معه من الصَّحابة البرَرة الكرام؟

شكرُ الله ـ عبادَ الله! ـ لا يكون إلَّا بطاعته، وهذا من تمام تحقيق مراده ﷻ الَّذي يريد بعباده أن يتوبوا إليه، وأن يستغفروه، وأن يستقيموا على أمره.

٢ـ كانوا يقضون أيَّام رمضان في طاعةٍ، ولياليَه كذلك، لا يفترون عن ذكر الله ﷻ، ولا يضعون المصاحف من أيديهم، كانوا يتفرَّغون بالكليَّة لكتاب الله ﷻ حتَّى إنَّ علماءنا يتركون حِلَق التَّدريس والتَّعليم ـ وهي من أعظم القرُبات وأجلِّها عند الله ﷻ ـ حتَّى يتفرَّغوا في شهر القرآن للإقبال على تلاوته.

٣ـ من مقامات هذا الشَّهر المبارك ـ الَّتي ينبغي على كلِّ مؤمنٍ أن يحقِّقها ـ أن يتقدَّم هذا الشَّهر بالإنابة الصَّادقة، والرُّجوع الحقِّ إلى الله ﷻ؛ لأنَّ المعاصي لا تزال بصاحبها حتَّى يضيقَ صدرُه، ويقسوَ قلبُه، ويعظُم همُّه، ويزداد حزنُه، ويتمنَّى أن يموت؛ فرارًا من عذاب الدُّنيا وضنكها، فكيف بعذاب الآخرة؟ فالمعاصي تُزيل النِّعم، وتجلب النِّقم، وتسوِّد الوجه، وتُظلم القلب، وتُوهن البدن، وتنقص الرِّزق، قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، يريد الله ﷻ منَّا أن نتوب إليه، وقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، واسمع لقول الله ﷻ في الحديث القدسيِّ: «**يَا ابنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي، وَرَجَوْتَنِي؛ غَفَرتُ لَكَ مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي**» [أخرجه التِّرمذي (٣٥٤٠)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (١٢٧)].

أقبِل على الله ﷻ، وكن صادقًا في إقبالك عليه؛ فإنَّ الله ﷻ سيَصدُقك وعدَه بأن يغفر ذنبك، ويتجاوز عن سيِّئاتك، ويرفع من درجاتك.

هذه فرصتنا في هذه الأيَّام المباركات، الَّتي وصفها الله ﷻ بقوله: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤].

هي أيَّامٌ معدوداتٌ، سرعان ما تنقضي، نستقبل هذا الشَّهر ثمَّ لا نشعر إلَّا ونحن نودِّعه.

هي ـ والله ـ أيَّامٌ معدوداتٌ، فاز فيها من فاز، وخسر فيها من خسر، وهلك من هلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ صعد المنبر، فقال: «**آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ**» قيل: يا رسولَ الله! إنَّكَ حين صَعِدت المنبَرَ قلت: آمين آمين آمين، قال: «**إِنَّ جِبرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَن أَدرَكَ شَهرَ رَمَضَانَ**

وَلَم يُغفَر لَه فَدَخَلَ النَّار فَأبعَدَهُ اللهُ، قُل: آمين، فَقُلتُ: آمين، وَمَن أدرَكَ أبَوَيه أو أحَدَهُما فَلَم يَبَرَّهُمَا، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فأبعَدَهُ اللهُ، قُل: آمين، فَقُلتُ: آمين، وَمَن ذُكِرتُ عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأبعَدَهُ اللهُ، قُل: آمين، فَقُلتُ: آمين» [أخرجه ابن حبّان (٩٠٧)، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥)].

وكان عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه يقول في آخر ليلةٍ من شهر رمضان: «من هذا المقبول منَّا؛ فنهنِّئه؟ من هذا المحروم المردود؛ فنعزِّيه؟ أيُّها المقبول! هنيئًا هنيئًا، أيُّها المحروم! جبَر اللَّهُ مصيبتك» [«مختصر قيام اللَّيل» للمروزيّ (ص ٢١٤)].

هذا الشَّقيُّ المُبعَد الَّذي أدرك هذا الشَّهر المبارَك، ثمَّ خرج منه ولم تغفر ذنوبه، فأسأل الله ﷻ أن يغفر ذنوبنا، وأن يغسل حَوبتنا، وأن يتوب علينا.

٤ـ من الوقفات الَّتي ينبغي أن نقفها ـ تهيُّئًا لهذا الشَّهر الكريم، وتحضيرًا لهذه العبادة العظيمة الَّتي جعلها الله ﷻ ركنًا من أركان ديننا ـ أنَّه ينبغي علينا أن نتعلَّم شيئًا من أحكامه، وأن نتفقَّه فيه: في واجباته وفرائضه، في آدابه وسننه، في هدي النَّبيِّ ﷺ فيه، هذا التَّهيُّؤ والاستعداد العلميُّ لمثل هذه العبادة يدلُّ على صدق نيَّة أصحابها، وأنَّهم فعلًا يريدون أن يتقبَّل الله ﷻ منهم صالح أعمالهم، وأنَّهم فعلًا صادقون مع الله ﷻ، يبغون مرضاته ﷻ، يريدون أن تُرفع منزلتهم عند الله؛ لأنَّهم علموا أنَّ الله ﷻ لا يُعبد إلَّا بما شرع، وما شرعه ـ وهو الفقه في الدِّين ـ تعلُّمه واجبٌ على كلِّ المسلمين، لقوله ﷺ: «طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ» [ابن ماجة (٢٢٤)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٢)].

٥ـ ممَّا ينبغي كذلك أن نستحضره هذه الأيَّام، ونتهيَّأ به لاستقبال هذا الشَّهر الكريم: العزمُ والهمَّة العالية، ولنا في ذلك الفائدة العظيمة، إذ إنَّنا حتَّى لو لم ندرك هذا الشَّهر، وكنَّا قد تهيَّأنا له بمثل هذه النيَّة الصَّادقة الطيِّبة، وبمثل هذه الهمَّة العالية والعزيمة الحقَّة؛ فإنَّ الله ﷻ لا يُضيع أجر المحسنين، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ]، فإنَّ الله ﷻ يُجري لنا أجر هذا الشَّهر صيامًا وقيامًا؛ لأنَّنا بمجرَّد صدق عزمنا فإنَّ الله ﷻ عالمٌ بنا، فيثيبنا ﷻ على قصدنا، وعلى حسن نيَّتنا فضلًا منه وتكرُّمًا، ولهذا كان سلف هذه الأمَّة الكرام يتهيَّئون لمثل هذا الشَّهر كتهيُّئهم للجهاد في سبيل الله، بل ربَّما أكثر من ذلك؛ لأنَّهم أيقنوا فضلَه العظيم، وتحقَّقُوا من بركاته العميمة.

٦ـ من الوقفات الَّتي لا بدَّ أن نقفها تهيُّئًا للإقبال على هذا الشَّهر:

الإقبالُ على كتاب الله ﷻ، أن نتلوَه آناء اللَّيل وأطراف النَّهار، وأن نجتمع مع المؤمنين في مساجدهم، وأن نقوم من اللَّيل ما كتب الله لنا من صلاة التَّراويح وراء أئمَّتنا؛ فإنَّه: «مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيلَةٍ» [رواه التِّرمذي (٨٠٦) وقال: «حديث حسن صحيح»]، فمن قام على سنَّة الحبيب المصطفى ﷺ، مع الإمام، وصلَّى صلاة النَّبيِّ الكريم ﷺ إحدى عشرة ركعةً، ثمَّ قضى صلاته، وأتمَّها مع إمامه كان قد وافق السُّنَّة، وعظُم أجره بقيامه، لا كالَّذين يخالفون.

٧ـ كذلك من الوصايا الَّتي ينبغي أن نوصي بها بعضَنا ونحن نستقبل هذا الشَّهر الكريم: ذكرُ الله ﷻ؛ فتلاوة القرآن من أعظم الذِّكر، وذكر الله ﷻ أعمُّ من تلاوة القرآن، وفي هذا فائدةٌ عظيمةٌ، إذا قصدنا وعزمنا أن نشغل أوقاتنا بذكر ربِّنا ﷻ الأذكارَ المسنونةَ الَّتي علَّمها نبيُّنا ﷺ أصحابَه والأمَّةَ من بعدهم، وقد جعل ﷺ هذا الشَّهر يبدأ بذكر وينتهي بذكر، إذا رأى الهلال قال: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَينَا بِاليُمنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسلَامِ، ربِّي وربُّكَ الله» [أخرجه التِّرمذي (٣٤٥١)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (١٨١٦)]، وأمر أمَّنا عائشةَ رضي الله عنها أن تقول: «أَعُوذُ بِاللهِ مِن شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ» [أخرجه التِّرمذي (٣٦٦٦) وقال: «حديث حسن صحيح»]، وكان كذلك إذا صام، وأراد الفطر دعا وقال: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وابتَلَّت العُرُوقُ، وثَبَتَ الأَجرُ إِن شَاءَ اللهُ» [أخرجه أبو داود (٢٣٥٧)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٩٢١)]، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول عند فطره: «اللَّهم إنِّي أسألك برحمتك الَّتي وسعت كلَّ شيءٍ أن تغفر لي» [ابن ماجه (١٧٥٣)]، فجمعوا بين ذكر الله ﷻ والإنابة إليه واستغفاره والتَّوبة من جميع الذنوب.

فتهيَّئوا لهذا الخير العظيم، تهيَّئوا لهذا الموسم المبارك، واجعلوه آخرَ موسم لكم مع رمضان، اجعلوه آخر رمضانٍ تعيشونَه في هذه الحياة، وأقبِلوا على الله ﷻ بقلوبٍ صادقة، ونيَّاتٍ صالحة، أقبِلوا على الله ﷻ إقبالَ الضَّعيف المنكَسِر على القويِّ الغنيِّ المتعال ﷻ، أقبِلوا على الله ﷻ إقبالَ المذنب المقصِّر على الغفور الرَّحيم العفوِّ الكريم ﷻ.

اللَّهم إنَّا نسألك أن تبلِّغنا هذا الشَّهر المبارك، وأن توفِّقنا فيه لكلِّ خيرٍ، وأن تتقبَّل منَّا صالح أعمالنا فيه.

اللَّهم ارحمنا وارحم موتانا وموتى المسلمين.

اللَّهم فرِّج عن إخواننا المستضعفين، وارفع عنهم الغمَّ والهمَّ والحزن، وخذ ظالمَهم أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ، آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

كيف نستقبل شهر رمضان

نسخة معدلة

فضيلة الشيخ
أبو عبد الله الأزهر سنيقرة حفظه الله

القدس للكتاب
مركز دراسات التصفية

www.tasfiatarbia.org